

الأديب العالمي

نجيب محفوظ

شاهد على العصر



حوار

عمر بطيشة

الأديب العالمي

نجيب محفوظ

شاهد على العصر

الناشر: دار الفاروق للاستثمارات الثقافية (ش.م.م)

العنوان: ١٢ ش الدقي - الجيزة - مصر
تليفون: ٠٢/٣٧٦٢٢٨٣٠ - ٠٢/٣٧٦٢٢٨٣١ - ٠٢/٣٧٦٢٢٨٣٢ - ٠٠٢/٠٢/
٠٢/٣٧٤٨٠٧٢٩ - ٠٢/٣٧٤٩١٣٨٨
فاكس: ٠٢/٣٣٣٨٢٠٧٤

فهرسة أثناء النشر / إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية. إدارة الشئون الفنية.

بطيشة، عمر.
الأديب العالمي نجيب محفوظ / حوار: عمر بطيشة. - ط ١. - الجيزة: دار الفاروق للاستثمارات الثقافية (ش.م.م) [٢٠٠٩] ٧٢ ص؛ ٢٢ سم. / ١٨
تدمك: 978-977-455-414-7
رقم الإيداع: ١٥٥٢٤ / ٢٠٠٩
١ الإبداع في الأدب العربي
أ العنوان
ديوي: ٨١٠,١٩٢

الطبعة العربية الأولى: ٢٠١٠
www.daralfarouk.com.eg
www.darelfarouk.com.eg

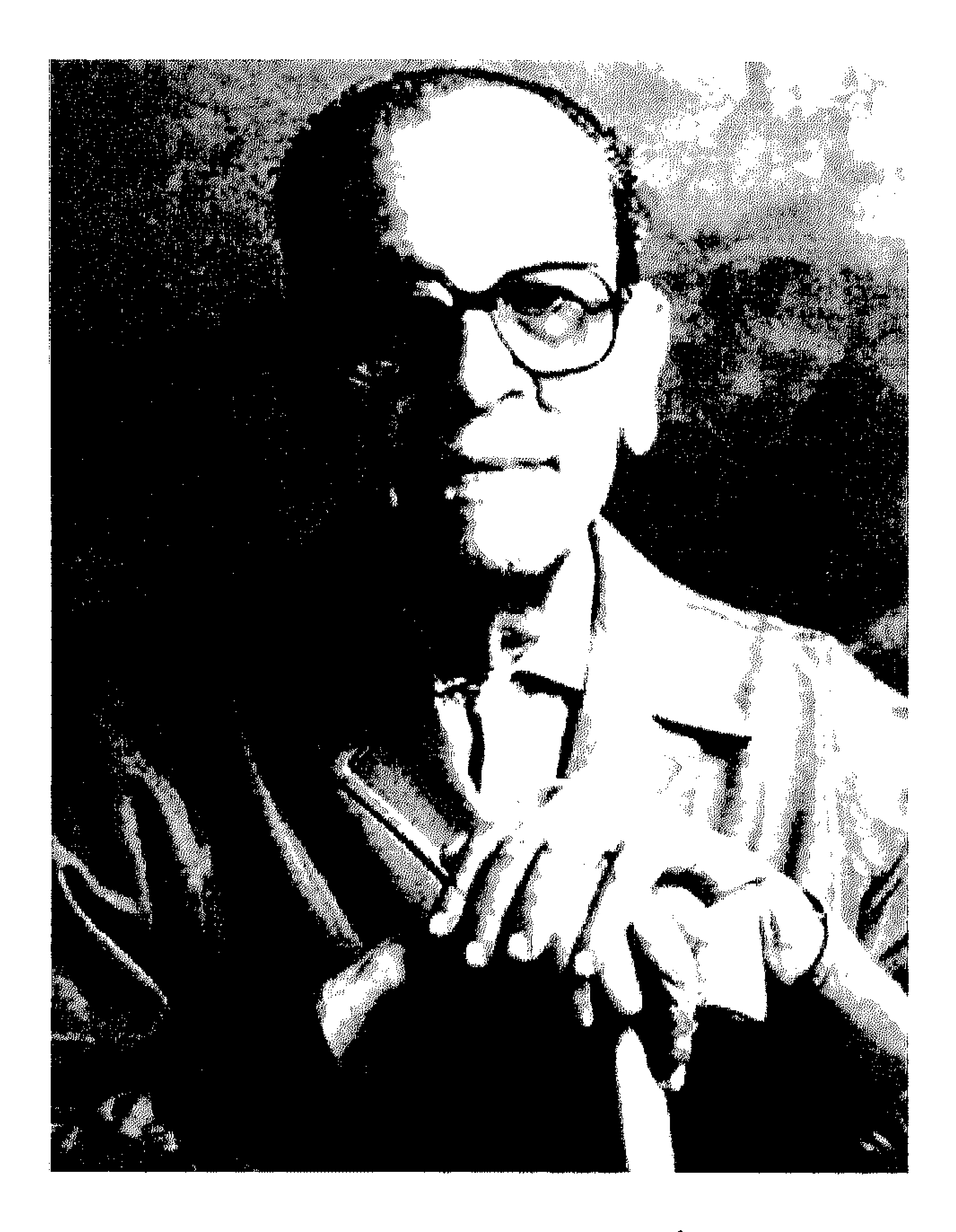
الأديب العالمي

نجيب محفوظ

شاهد على العصر

حوار

عمر بطيشة



الأديب العالمي نجيب محفوظ

تقديم

شهد وطننا العديدَ من الأحداث السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي كان لها أثر كبير في تاريخنا المعاصر، تباينت حولها الآراء بين مؤيد ومعارض؛ ولأنه من حق الأجيال الجديدة أن تعرف تاريخ تلك الأحداث المهمة دون تزييف أو تنميق؛ لإيماننا بحق الناس الأصيل في المعرفة، ولأن التاريخ إذا كان مبهمًا أو مزورًا، ترتب على ذلك تشوه في الوجدان القومي يؤثر بصورة حتمية في الحاضر والمستقبل؛ لذا قمنا بنشر هذه السلسلة من برنامج «شاهد على العصر» - الذي قدمه الإذاعي اللامع، الأستاذ: عمر بطيشة؛ رئيس الإذاعة المصرية سابقًا. نعرض من خلالها لشهادة مجموعة من أبرز الشخصيات العامة التي كان لها حضور مؤثر في الساحة الإعلامية؛ فكانوا بذلك شهود عيان على الفترة التي عاشوا فيها.. وقد أدلى كل منهم برأيه فيما شاهده من أحداث ووقائع، هذا ولم نقتصر في اختيارنا لهذه الشخصيات على فئة معينة من الأفراد، أو توجه سياسي معين؛ بل تناولنا شخصيات سياسية، وأدبية،

وعلمية، تمثل كافة التيارات الثقافية والسياسية في مصر، وقد التزمنا الحياد التام، وتوخينا الصدق والأمانة في عرضنا لهذه الآراء كما أدلى بها أصحابها؛ لتكون سجلًّا موثَّقًا لفترة مهمة من تاريخنا المعاصر، آملين أن نكون قد قمنا بإثراء الوعي الثقافي لدى أبناء هذا الجيل.

الناشر

مقدمة

يبرز في هذا الكتاب صوت من الأصوات الجديرة بأن نسميها الأصوات الخالدة؛ صوتٌ شاهدٌ على كل أحداث العصر الاجتماعية والسياسية والثقافية؛ لدرجة أن زائر أهرام الجيزة كان يسأل عنه؛ باعتباره الهرم الرابع؛ هرمٌ بشري عاش فترةً من الزمن كان فيها بأعماله وكلماته شاهدًا على العصر وتقلباته وكل أحداثه حلوها ومرِّها.

رجلٌ حاول أن يسجل التاريخ؛ لكن بطريقةٍ امتزجت فيها الواقعية بالرمزية، والتحمت في لغته الشاعرية بالنثرية، وانصهر فيها الخيال في بوتقة الواقع.. بدأ حياته الإبداعية بكتابة القصة القصيرة وبعض المقالات، ثم كتب الرواية التاريخية؛ لكنه لم يلبث أن انتقل إلى الواقع فكتب ثلاثيته الخالدة؛ (بين القصرين - قصر الشوق - السكرية)، التي تمثل الصراع بين الأجيال المختلفة، وأراد أن يتحدث عن الزقاق وأهله وحياته؛ فكتب عمله الرائع (زقاق المدق).. تحدث كذلك عن الحارة وأهلها فكتب (حكايات حارتنا) و(أولاد حارتنا)، تحدث عن الفتوة والمعلم؛ حتى كُلِّلتْ أعماله بإكليل نوبل

عام ١٩٨٨م؛ فغدا هرمًا رابعًا من أهرام مصر المحروسة؛ إنه الأديب الكبير أبو الرواية العربية، إنه الرجل الساعة، صاحب الحرافيش نجيب محفوظ.

ربما ينظر كل إنسان إلى العصر من منظور خاص به؛ لكن ليس كل إنسان يمتلك الرؤية الجادة التي تشحذ الفكر وتجعله يدوِّن أحداث عصره وجيله في قالب فني إبداعي يتسع للوصف والحوار، والتفاعل والحركة ألا وهو الرواية. ومن المعلوم أن نجيب محفوظ حين بدأ حياته الروائية بدأها بالرواية التاريخية؛ لأنه وجد في التاريخ حقلًا خصبًا مليئًا بالصراعات والأحداث؛ فكتب «عبث الأقدار»، «كفاح طيبة»، «رادوبيس»، ثم انقلب إلى الواقع فكتب «القاهرة الجديدة»، «ميرامار»، والثلاثية، وغيرها من الروايات والقصص التي تسجل الواقع بأحداثه المختلفة، وقضاياه المتعددة وشخصياته المتنوعة، وأماكنه المليئة بالعبق القاهري.

نجيب محفوظ

- وُلـد نجيـب محفـوظ في حـي الجماليـة بالقـاهرة لعبـد العزيـز إبراهيم أحمد الباشا في ١١ ديـسمبر ١٩١١م، وأمـضى طفولتـه في حي الجمالية، ثم انتقل إلى العباسية والحسين والغورية.
- التحق نجيب محفوظ بجامعة القاهرة في ١٩٣٠م، وحصل على ليـسانس الآداب في الفلـسفة عـام ١٩٣٤م، وشرع بعـدها في إعداد رسالة الماجستير عن الجمال في الفلسفة الإسلامية، وأثناء إعداده لرسالة الماجستير وقع فريسة لـصراع حـاد بـين متابعـة دراسة الفلسفة وميله إلى الأدب الذي نما في السنوات الأخـيرة لتخصصه بعد قراءة العقاد وطه حـسين، ثـم غـير رأيـه وقـرر التركيز على الأدب.
- بدأ حياته العملية بالعمل في القطاع الحكومي سكرتيرًا برلمانيًّـا في وزارة الأوقاف، ثم مديرًا لمؤسسة القرض الحسن، ثم مديرًا لمكتب وزير الإرشاد، ثم مديرًا للرقابـة عـلى المـصنفات الفنيـة بوزارة الثقافة.

- وفي ١٩٦٠م عمل مديرًا عامًا لمؤسسة دعم السينما. ثم رئيس مجلس إدارة المؤسسة العامة للسينما (١٩٦٦م - ١٩٧١م)، وتقاعد بعده ليصبح أحد كتاب مؤسسة الأهرام.
- خلال مسيرته الأدبية صدر له ما يقارب الخمسين مؤلفًا من الروايات والمجموعات القصصية، نقل من خلالها حياة الطبقة المتوسطة في أحياء القاهرة.

وفاته

- تُوفي نجيب محفوظ في ٣٠ أغسطس ٢٠٠٦م إثر قرحة نازفة بعد عشرين يومًا من دخوله مستشفى الشرطة في حي العجوزة في القاهرة لإصابته بمشاكل في الرئة والكليتين.

نص
الشهادة والحوار

قيل عن الأديب الكبير الأستاذ نجيب محفوظ: إنه عندما يمسك بالقلم فإنه يكون في أحسن حالاته كالفارس المحنك؛ يمتطي صهوة جواده فيجول ويصول، أما حينما يُنزع منه قلمه، ويضطر إلى الحديث الشفوي؛ فكأنك سلبته سلاحه و جواده معًا؛ ونحن سندعوه إلى هذا الحوار الذي يترك فيه القلم ليروي لنا ما شاهده عبر الزمن الذي عاشه، ويشهد على ما رأى.. فإلى عالمه المصري الرحيب نقترب وإلى شوارع وأزقة القاهرة ندخل، وقد أصبح بعضها عالميًّا حينما صورها قلمه[1]..

☜ الكاتب والأديب الكبير.. الأستاذ نجيب محفوظ، أولًا أهلًا بك..

- أهلًا بك.. وشكرًا جزيلًا..

☜ هل الكلام الذي قلته في المقدمة صحيح.. وهو؛ أنك تكون - دائمًا - في أحسن حالاتك حينما تمسك بالقلم.. أما الحديث الشفوي فيكون وكأن الإنسان سلبك أهم سلاح؟

- نعم، هذا صحيح بدرجةٍ كبيرةٍ.. لأن الكاتب لا يكون كاتبًا إلا حينما يكتب ويمسك القلم..

---

(١) أُجري هذا الحوار في يناير ١٩٨٣.

رؤية العصر عند نجيب محفوظ

لنفترض أنك أمسكت بالقلم وأخذت تكتب عن العصر الذي نعيشه.. فماذا ستكتب؟ أو ما هي رؤيتك لهذا العصر الذي نعيشه، وملاحظاتك عليه بشكل عام؟

- يُخَيَّلُ إليَّ أننا نعيش في عصر انتقال.. وإن طالت مدته بسبب السياسة الخارجية، وما صادفنا فيها من عثرات ومتاعب، ونتيجةً للثورة الأخيرة؛ ثورة يولية وما غيَّرت في وسائل الإنتاج والعلاقات الاجتماعية وما ترتب على ذلك من تغيُّرات تعرَّض لها المجتمع، وما زال يتعرض بسببها لتغيُّر مماثلٍ في القيم، وفي المعاملات وفي الرؤى الاجتماعية والثقافية والروحية..

إذا اعتبرنا هذه النقاط إجمالًا لهذه الرؤية، فما مظاهر ذلك بالتفصيل؟ وبأيِّ الأشكال انعكس هذا على العصر؟

- مظاهر ذلك على سبيل المثال؛ نجد أن طبقات تراجعت برمَّتها.. وبرزت الطبقة الوسطى في فترة من الفترات، وما زالت بارزةً؛ ولكن لحقت بها بعض الطوائف الشعبية.. ثم جاء الانفتاح، والتغيرات الاقتصادية الأخيرة؛ فقلبت الموازين؛ بحيث أصبح الموظف، والطبقة الوسطى مكان

الطبقة الشعبية القديمة وفوقهم الطبقات الحرفية والشعبية، وفوق كل هؤلاء التجار، ورجال الصناعة.

هذه هي الخريطة الاجتماعية بصورة عامة؛ ولكني أريد أن أسأل الأستاذ نجيب محفوظ عن مدى اختلاف الصورة بين قاهرة «الثلاثية»، و«زقاق المدق»، و«بداية ونهاية»، و«القاهرة الجديدة» وبين قاهرة «الحب فوق هضبة الهرم»؟

- هذه قاهرة جديدة تمامًا.

هل تقصد أن قاهرة اليوم لم تعد جديدة مثلما كانت؟

- لا.. وإنما أعني أن القاهرة القديمة أولًا كعاصمة كانت محدودة الامتداد.. يسكنها حوالي ٢ مليون في أكبر حالات انفجارها السكاني.. وكانت من حيث المظهر تمتاز بالأناقة والنظافة.. فمثلًا الأحياء القديمة بها كانت تُكْنس مرتين وترش بالماء مرتين في اليوم..

نفهم من هذا أنك تعشق القاهرة القديمة.. أليس كذلك؟

- بلا شك.. لأنني ولدت بها وتربَّيت فيها كذلك..

وهل معنى هذا أنك لا تحب قاهرة اليوم؟

- لا.. لم أقل هذا.. ولكن قاهرة اليوم أصبح عندها عسر هضم، وتضخمت تضخمًا خياليًّا.. بحيث لا أستطيع الآن أن أقول لك: إنني قاهري، وإنني أعرف القاهرة الآن.. ففي بعض الظروف أو المناسبات أذهب إلى بعض الأحياء، وأرى امتدادها فلا أتصور وجودها.. لقد تضخمت تضخمًا رهيبًا فأصبحت مزدحمة جدًّا وامتلأت بالضجيج والمشكلات، فالمواصلات فيها - مثلًا - أصبحت مزدحمة ومكتظَّة، كما أن هناك أشياء كثيرة أخرى تغيرت؛ فأين - مثلًا - نظافة وأناقة وهدوء القاهرة القديمة! كل هذا تغيّر، وهو يدلُّ على أنها متروكة لقدرها بدون أيِّ تنظيم.. وفي الواقع، هناك جوانب إيجابية في البشر؛ ولكن ينقصها التنظيم.. وأضرب لك أمثلة على ذلك؛ القاهرة القديمة كانت تتكون أساسًا من الطبقات الشعبية من أهل الحِرَف، وهي طبقات كانت تعاني الفقر والأمية؛ هذا بالإضافة إلى طبقة صغيرة من الموظفين هم خلاصة المجتمع، ثم طبقة السَّادة من كبار الملاك والطبقة الأرستقراطية المعزولة تقريبًا عن بقية الطبقات.. هذا قديمًا أما اليوم فإنك تجد بها صناعات، ورجال أعمال، وعمّالًا من مختلف الدرجات والأنواع، ورجال الحِرَف الذين أقبلت عليهم الدنيا،

ونرجو لهم المزيد من الإقبال.. فهذه كلها أشياء كثيرة لها جوانب إيجابية لكنها تحتاج إلى تنظيم؛ لتحقيق الاستفادة منها.. وهي توجب علينا تدريب العمال والحرفيين؛ لتأهيلهم للحياة الحديثة؛ من أجل مصر، والبلدان الأخرى في أسيا وإفريقيا..

قديمًا كانت المدارس محدودة، والمتعلمون كانت أعدادهم محدودة كذلك.. ولكن اليوم المدارس كثيرة جدًّا، ومكتظة بالتلاميذ.. لذا يجب أن نعتني بالمدرسة والمدرس؛ ليبقى التعليم مجانيًّا حقيقةً لا صورة؛ لأنني أخشى بعد مرور الوقت أن نجد أنه لا تعليم إلا بمصروفات باهظة؛ ولذلك إن كنا نريد تعليمًا حقيقيًّا فعلينا أن نبدأ بإعداد المعلم، وتكوين المدرسة بمضمونها الحقيقي؛ فقديمًا كان يوجد بالمدرسة فناء للعب الكرة وللرياضة البدنية، ومكتبة، وكان لها مجلة، وفريق موسيقى، وفريق تمثيل، وخطابة، ورحلات أسبوعية.. أي كانت مدرسة متكاملة بمعنى الكلمة، وإني أؤكد لك على ذكر الرحلات أننا في فترة التعليم الابتدائي رأينا أمجاد مصر بأعيننا.. رأينا الآثار الفرعونية، والآثار الإسلامية والآثار القبطية.. ورأينا أنحاءها كلها وكلَّ ما يمكن أن يُزار فيها..

☜ **ولكن التلفزيون في هذه الآونة متكفل بهذه المهمة..**

- هذا شيءٌ جميل جدًّا.. التلفزيون من آيات العصر الحديثة ومفاخرها وإيجابياتها؛ لأن ٩٠٪ من المصريين يعتبرون كل ما يذاع فيه ثقافة.. حتى الأخبار البسيطة، وأبسط المشاهد.. فكل هذا فتَح الأذهان على الدنيا، فالرجل العادي اليوم أصبح على قدر كبير من الوعي بسياسة بلده الداخلية، وبسياسة العالم وما يحدث فيه، وعلى شيءٍ من الثقافة العلمية؛ التي يحصلها المشاهد سواء من أعماق البحار أو في الأجواء؛ فالخدمة التي يؤديها التلفزيون للغالبية العظمى من البشر خدمة عظيمة جدًّا..

☜ **التلفزيون في النهاية صورة، وأنتم عشتم الواقع في المدارس، فهل هناك فرق بين الواقع المعيش، وهذه الصورة؟**

- نعم بالطبع الفرق واضح من الناحية الثقافية، ومن الناحية السياسية.. فنحن مثلًا كنا نشارك في كلِّ شيءٍ مشاركةً إيجابيةً؛ وقد برز عنصر المشاركة في أعقاب الثورة الشعبية، حيث كان كلُّ الأفراد وكلُّ القوى الشعبية في حالة خلق وإبداع وعمل، ومن هنا تقدم الاقتصاد بشكل طبيعي جدًّا، وكذلك الفن والثقافة والعلم.

☜ تبقى القاهرة ملهمة عظيمة جدًّا لك.. ومثلما أُلْهِمت «زقاق المدق» و«الثلاثية» بالقاهرة القديمة.. ألهمتك القاهرة الحديثة «الحب فوق هضبة الهرم».. وكثيرًا من القصص.. أليس كذلك؟

- بالطبع.. ولكن انظر الفرق بين هذا وذاك..

☜ بالتأكيد هناك فرق، لكن في كلتا الحالتين يوجد إبداع وإلهام، ونحن نستمتع بالقصص العظيمة وعالم الأستاذ نجيب محفوظ الرحب.. لكن القلق والضياع والغربة والاغتراب وعدم الانتماء، أصبحت مصطلحات لصيقة بهذا العصر الذي نعيشه..فهل غدت هذه المصطلحات جزءًا من تركيبة العصر الذي نعيشه؟

- لدرجة كبيرة.. يبدو ذلك بقدر ما نستطيع أن نزعم أننا نفهم هذا العصر..

☜ ما أسباب هذا الشعور، وهل تلك الأسباب في الداخل تختلف عنها في الخارج؟

- بالتأكيد هذا الشعور في الخارج له أسباب تختلف عن الأسباب التي في الداخل.. ففي الخارج، كانت الحروب وخيبة أمل الناس في السلام الذي أعقبها؛ ولأنهم غالبًا فقدوا الإيمان

الديني، ولم يجدوا ما يحلُّ محله، فترتب على ذلك الشعور بالقلق وعدم الانتماء والضياع والغربة والاغتراب.

وكان لذلك جذور في الفلسفة الأوربية الإلحادية وغيرها.. أما بالنسبة لبلادنا فلم يوجد فيها هذا الانفصال عن العقائد الدينية؛ إلا أن السياسة لعبت دورًا.. فالثورة أو الثورات التي جاءت في أغلب العالم الثالث، كانت ثورات شمولية غير ديمقراطية.. وفي هذا النوع من الثورات تتضخم الدولة؛ لأنها تقوم بكل الأمور من الإصلاح والتخطيط إلى غير ذلك، ومن هنا يتقلص دور الفرد وتتحجم مشاركته.. ومن هنا كانت الأسباب الأولى للإحساس بالغربة والقلق، وضعف الانتماء لدى الشباب؛ أسبابًا سياسية.. فضلًا عن أن العالم أصبح في شبه وحدةٍ بسبب وسائل الاتصال والإعلام الحديثة.. كما أن الفلسفات العالمية استطاعت أن تتسرب إلى بعض المثقفين لأسباب غير نابعة من بيئتهم، وقد تضافر هذان العاملان فأدى ذلك إلى تولد هذه الظاهرة وهي الإحساس بالضياع والقلق وعدم الانتماء..

☜ إذا كان لهذه الظواهر انعكاساتها فماذا يحتاج منا الإنسان المصري الآن أو هذا الجيل عمومًا؟

- الأجيال الحديثة تحتاج منَّا عنايةً كبيرة جدًّا.. ويجب أن نعترف أولًا أننا؛ رغبةً في نشر التعليم للجميع لم نحسن تعبئتها ولا إعدادها.. فالكثرة الهائلة للتلاميذ، وعدم تأهيل المدرسة لمهمتها التي حدَّثتكَ عنها، والعجز عن إعداد المدرسين الأَكْفاء؛ كل ذلك أدى إلى وجود تعليم غير مكتمل، كما أن التربية انعدمت أو كادت، أيضًا ينشأ دائمًا من الخير الذي تضمره الدولة شرٌّ لم تفكر فيه ولم تضعه في الحسبان.. فهي أرادت أن تضمن لكلِّ خريجٍ عملًا، وهذا شيء حسن؛ لكن ماذا كانت النتيجة؟!.. النتيجة ظهور البطالة المقنعة التي نشكو منها اليوم.

كانت البطالة في مجتمع الأربعينيات ظاهرة واضحة للعيان، حيث كان معظم الخريجين لا يجدون عملًا.. ونجد ذلك في الأفلام القديمة، التي تعرض صورة الشاب العاطل الذي يلح عليه والداه بضرورة البحث عن عمل، فهل هذه الصورة ما زالت موجودة إلى الآن..؟

- من عيوب المجتمع القديم أن الأعمال الحرة كانت كلُّها في يد الأجانب، فعلى الرغم من أنه كان هناك أناس على قدر كبير من

العلم؛ فإن جزءًا كبيرًا منهم كان لا يجد عملًا ، وإن وجد فهو في غير تخصصه..

- أما الآن وكما قلت لك: الخير قد ينجم عنه شر بالضرورة.. فالحكومة ألزمت نفسها تشغيل الكل؛ فكان نتيجة ذلك أن الكل أصبح يشتغل؛ الكفء وغيره.. وليته يجد عملًا في كثير من الأحيان! وليس معنى هذا أن أتخلى عن الرغبة التي وجدت من وراء التعليم، وهي توفير فرص العمل أو أترك الناس بلا عمل أو بلا تعليم.. ولكن العملية تحتاج إلى تنظيم حتى يستطيعوا تأدية عملهم بالأكمل في الداخل، ويكونوا ثروة للخارج.. وهذا ممكن.. كما حصل في كوريا..

في حديثنا عن الإنسان المصري المعاصر.. يلح أمامي سؤال الآن، وهو: هل الإنسان المصري تغير، وهل تغيرت مقوماته الأصيلة؟

- والله.. كما قلت لك: إنني أقابل أناسًا من الشباب لا يهتمون إلا بذواتهم.. وأعذرهم في ذلك؛ لأن الظروف هي التي جعلتهم هكذا.. وهذا معناه أن الصفة لم تكن كذلك؛ وليس ذلك لأن القدماء أحسن من الجدد؛ ولكن لأن ظروف القدماء أحسن من الجدد.. فالظروف هي التي اختلفت، ويمكن

استدراكها، وكما قلت لك: لا بد من عقد العزيمة على إيجاد المدرسة المتكاملة والتربية السليمة، بحيث يصبح لدي فرد مُربّى تربيةً كاملةً.. وبحيث يصبح لدي - أيضًا - حرفيون أدربهم، حتى يمكن الاستفادة منهم هنا وفي الخارج، فنحن نملك ثروة تحتاج إلى التنظيم وحسن الاستعمال..

أزمة الفن

☜ نسمع - في الآونة الأخيرة- ما بين الحين والآخر عن أزمة الأغنية.. أزمة المسرح.. أزمة السينما.. أزمة الشعر.. بمعنى أنه عند ذكر أي لون من ألوان الفن المختلفة تتكرر كلمة أزمة.. فهل هذه ظاهرة؟ وهل هناك أزمة في الحقيقة أم لا؟

- نعم هي ظاهرة.. ولها أسبابها.. فليس هناك شك في أن الثقافة تعاني أزمة، وجزء من هذه الأزمة له أسباب عالمية، وهناك أسباب محلية ضاعفت من الأثر.. فمن الأسباب العالمية: أنَّ وسائل الثقافة في العالم تتغير؛ فبعدما كانت قاصرة على الكلمة المكتوبة، جاءت وسائل جديدة مثل الإذاعة والتلفزيون.. فتحوَّل كثيرٌ من قرَّاء الكلمة إلى مشاهدين، وأيًّا ما كان الأمر فإن الوسيلة في ذاتها ليست ذات أهمية إذا ضمنا نوعية الثقافة؛

ولكن للأسف المشاهدة تراعي الإمتاع والتسلية أكثر من الجدية؛ لأن طبيعة العرض تحتاج إلى ذلك، فعرض التلفزيون البرامج آخر الليل على أناسٍ أُنهكوا طوال النهار في العمل، يختلف كثيرًا عن طبع كتاب يختارونه ويشترونه بأموالهم. إذن هذه ظاهرة عالمية، جاءت إلينا ونحن في حالةٍ سيئة.. في حين أنها اجتاحت بلاد أوربا وهي في حالة مناعة ثقافية، فأخذت منها نسبةً معينةً، وقدَّمت فنًّا إذاعيًّا وتلفزيونيًّا رفيعًا يناسب المستوى؛ أما نحن فلم يكن لنا نصيب من هذا ولا ذاك.. وللأسف الشديد.. هذا في أساسه يرجع - كما قلت لك - إلى اختفاء التربية من التعليم بعد نشره؛ فنحن نشرنا التعليم؛ لكن الاستعداد لنشره لم يسر بالقوة نفسها؛ فكان نتيجة ذلك أن ظهرت أجيال غير أجيالنا؛ فقد عرفنا كيف يُلقَّن عشق الثقافة والكلمة المكتوبة في المدرسة.. بفضل المدرس الكفء الذي جعلنا نعشق الأدب والثقافة.. وكان أثر ذلك يظهر سريعًا، فكان التلميذ يحفظ الكثير من الشعر العربي، ويحفظ أشياء كثيرة لها قيمة.. هذا بالإضافة إلى أن أساتذتنا المعممين الذين كانوا من خريجي دار العلوم أو الأزهر - كانوا يعتبرون

أنفسهم الحفظة للغة وأدبها وجمالها، ولذلك كانوا يشرحون المقرر ويفهمونه بمقدرة غير عادية، بل كانوا يضيفون إليه من تراثهم وثقافتهم الشخصية التي جعلتنا نسألهم عن منابع هذه الكنوز الجميلة التي يقولونها لنا.. فعرفنا التراث على أيديهم واتجهنا إلى الأدب بفضل هؤلاء المدرسين المعمَّمين قبل أن نعرف العقاد وطه حسين والمازني وهيكل، أما اليوم فانظر إلى ما يدرسه ابنك في المدرسة، فهل هناك ما يحببه في القراءة؟! وبصراحة نستطيع أن نقول إن ما حدث عكس ذلك تمامًا، حيث تخرَّج جيل لم يكن من عشاق الثقافة الحقيقية، وما لبث أن وجد أمامه التلفزيون والإذاعة؛ فقضي وقته بأيِّ طريقةٍ كانت.. وهذا هو الداء الأول والأساسي..

الأمر الثَّاني: الثورة؛ فأيُّ ثورةٍ من طبيعتها أن تحمي روحها ضد أي أفكار مضادة خصوصًا في أولها.. فحرية الفكر عانت؛ ولذلك أصيب الفكر إصابة بالغة من هذا الكبح، فلم توجد مغامرات فكرية في حياتنا في الـ ٣٠ سنة الفائتة كما وجد في أعقاب ثورة سنة ١٩.. يضاف إلى ذلك أن الثورة تواردت عليها تيارات، لم تكن متكاملة، بل كانت متناقضة بعض الشيء.. ففي فترة من فترات الثورة سادت في الثقافة الروح اليسارية؛

فحجبت اليمين، وبعد ذلك اعتدلت؛ فحجب اليمين اليسار، وكان نتيجة ذلك أن قوتنا الثقافية كانت تطير بجناح واحد وجناح مقصوص؛ وهذا بالطبع أصدر ضعفًا يضاف إلى الضعف الذي نتج عن التربية.. أضف إلى ذلك الانفتاح والحالة الاقتصادية وغلاء الأسعار وغلاء الكتاب الذي بات عقبة جديدة أمام القاعدة التي ظلَّت على وفائها للثقافة الجادة المكتوبة.. كلُّ هذه عوامل أصابت النهضة الثقافية؛ وخلقت عندنا مناخًا ثقافيًّا عليلًا يحتاج إلى علاج؛ لكن لحسن الحظ، القوة الإنتاجية في الشباب ما زالت بحالة جيدة، فهي متنوعة وغزيرة في العدد، أي إننا لا نشكو في الناحية الثقافية من القوى أو الأفراد، وإنما من الجمهور القارئ ومن المناخ المحرومِ من الحرية أو المصاب بالتحيز السياسي، وقد شرحت الأسباب التي أدت إلى هذا المناخ..

☜ هل تقصد أننا لا نشكو من عملية الإبداع؟

- لا نشكو على الإطلاق؛ فعملية الإبداع عندنا تعبر عن ذاتها بطرق مختلفة؛ وهناك مواهب جديدة تظهر كلَّ يوم، حيث أقرأ في القصة والمسرح، وفي الشعر والرواية أشياء عجيبةً وجميلةً.. لكنها تنطلق في جوٍّ معادٍ.. في جو مظلم.. ليس في مقدوره أن يبيِّن لؤلؤها ويعطيها حقها من التقدير والإعجاب..

☜ ولكن هل هذه المواهب تعكس عصرها، وخاصة العصر الحالي؟

- نعم، وقد وجدت هذا الانعكاس، وهذا الاتصال بالعصر يظهر بقوة وبشكل جمالي في كلِّ ما قرأت.. وأستطيع أن أعطيك أمثلة تؤكد ذلك رغم أني أتخوف من هذا الأمر؛ لأن الذاكرة - وخصوصًا ذاكرة رجل في سني - تحفظ شيئًا وتنسى أشياء؛ لذا أخاف أن أنسى أحدًا.. وأيًّا ما كان الأمر فإني سأقول لك على سبيل المثال وليس على سبيل الحصر.. مثل: جمال الغيطاني.. وصنع الله إبراهيم.. ومجيد طوبيه.. جميل عطية.. إسماعيل ولي الدين.. وفي الإسكندرية توجد نهضة، فتجد فيها سعيد سالم، ومحمد الجمل، وعبد الله الوكيل.. وهذه مجرد أمثلة لا أكثر ولا أقل من ذاكرة رجل جاوز السبعين.. ويجب أن تعذروا النَّاسي.. وأنا أحبُّ دائمًا عندما أحصي الشباب أن يكون عندي حصر وبيان.. فهناك مواهب كثيرة جدًّا.. أؤكد لك أنني أضمن لك المواهب والأعداد.. ولكن أعطني الجو والظروف المناسبة..

موقع الأدب المصري من الأدب العالمي

وهذا يجرُّنا مع الأستاذ محفوظ لسؤالٍ آخر، وهو: ما مدى تقييمه لموقع الأدب المصري المعاصر من الأدب العالمي؟

- يجب أن نتكلم أولًا عن الأدب المحلي؛ كي نتكلم عن الأدب العالمي! ولن يوجد عندنا أدب محلي إلا عندما يستوفي شرطين هما: كاتب أصيل، وجمهور.. فأما الجمهور فـ ٦٠٪ منه على الأقل من الأميين، والـ ٤٠٪ المتبقية متعلمون، وهؤلاء ليس بينهم ٥٪ مثقفون يحبُّون القراءة.. فهذا ركن مهدم.. أما من حيث الكاتب، فمن الحق أن نقول: يوجد لدينا مضمون وموضوع أصيل؛ لكن ما زلنا نتطلع إلى شكل عربي أصيل أيضًا يشتهر على مستوى الأدب العالمي ويتميز تميز فن الأرابيسك - مثلًا - بين الفن التشكيلي العالمي.. فالتميز ظهر في فن الأرابيسك مثلًا، ولم يظهر في القصة أو الرواية أو الشعر؛ لأنه ينقصنا - كما قلت لك - نشاط كبير جدًّا على مستوى الكتَّاب والقراء؛ لكي نقول إن لدينا أدبًا محليًّا عظيمًا.. فإذا تحقق ذلك نستطيع أن نتحدث عن موقع

هذا الأدب من الأدب العالمي.. فهل من المعقول أن نتحدث عن هذا الموقع ونحن لم نبلغ الأدب المحلي بعد! هل يعقل أن تأتي برجلٍ مُصاب بأنكلستوما وبلهارسيا وتدفعه إلى بطولة البوكس العالمي! فقبل أن تدفعه إلى ذلك عليك أن تجعله يتمتع بالصحة أولًا، ثم بعد ذلك تفكر في إلحاقه بالبطولة العالمية.. وهذا يجعلني أتساءل عن قيمة هذه العالمية بالنسبة لك أو ماذا سيقدم لنا فكرك العالمي هذا؟.. ليس أكثر من الحصول على جائزة نوبل، فهل هذه تغني عن التدهور الذي تشاهده في كل ناحية؟!

☜ نعود مرةً ثانيةً إلى العصر الذي نعيشه والذي يقولون عنه: إنه عصر السرعة.. ورغم أنه عصر السرعة فإن هذه السمة لم تنعكس على اختيارات القارئ، فالشباب والقارئ عمومًا لا يقتصرون فقط على قراءة القصة القصيرة بحجة أنهم يعيشون عصر السرعة؛ ولكنهم يقبلون على الروايات الطويلة أيضًا، والدليل على ذلك أن روايات نجيب محفوظ مثلًا من أكثر الروايات انتشارًا.. فما تفسيرك لذلك؟

- السرعة والبطء مسألة نسبية.. وإذا صح أن نطلق صفة السرعة هذه على البلاد المتطورة المنتمية للحضارة الغربية، فلا نقدر أن نطلقها بالقوة نفسها على البلاد النامية.. وأنا عن نفسي أقول لك: الإيقاع الذي كنتُ أكتب به مثلًا في الثلاثينيات أو الأربعينيات أو الخمسينيات اختلف عنه في الستينيات أو السبعينيات أو الثمانينيات، حيث أصبح إيقاع الكتابة عندي أوجز وأسرع، وخرجت القصص أوجز، ومن المدهش في هذا السياق أن رواية الثلاثية التي تحدثت فيها عن تتابع الأجيال أثناء ثورة ١٩، أخذت حوالي ٢٠٠٠ صفحة. وعندما كتبت عن فترة مثلها في ثلاثة أجيال خرجت في حوالي ٢٠٠ صفحة، وذلك في رواية «الباقي من الزمن ساعة».

وقد سألت نفسي وقتها؛ هل هي مجرد السرعة؟.. فذلك جائز خاصة وأن الفرد نفسه لم يعد مهمًّا في ذاته؛ بمعنى أنك لو أخذت شخصية «السيد عبد الجواد» ووصفته وصفًا كاملًا من رأسه إلى أخمص قدمه؛ فأي فرقٍ هنا؛ لكي تعطيه هذه العناية؟ لقد أصبح مجرد

اسم ووظيفة.. وموقف..ولذلك أصبحت هناك أسماء تتوالى وأحداث، وكأنها رؤية عامة أكثر منها رؤية خاصة تفصيلية..

☜ هل تقصد أن دور البطل الرئيسي التقليدي في الرواية قد تراجع؟

- أعتقد ذلك؛ فعندما انتهيت من الرواية، ووجدت الشبع الذي حصل لي.. قدَّمت الرؤية التي أريد أن أقدمها.. ونظرت إليها ككلٍّ فاندهشت من الفرق؛ فالذي كتب عن أحمد عبد الجواد في الثلاثية مثل الذي كتب عن الأسرة الجديدة التي عاشت ثورة يولية كلها! لذا أعتقد أن هذا هو أثر العصر الذي نعيشه؛ وهو واضح جدًّا أيضًا في كتابات الشبان..

ميزات الجيل الحديث

☜ يتوقع القراء - عادة - من الشخص الذي يتحدث عن الماضي وعن الحاضر وعن المستقبل، أن يمدح جيله، وينظر بنظرة أقل للأجيال التي أتت بعد ذلك؛ حيث يعتبرون ذلك شيئًا طبيعيًّا وتلقائيًّا.. لكنني هنا سأعكس الأمر، وأسألك: ما الشيء الذي يتميز به هذا الجيل عن جيل نجيب محفوظ؟

- هـذا الجيـل يتميـز في جوانـب كثـيرة بمغـامرات فكريـة لم تكـن موجودة على أيامنا؛ فجيلنـا كانـت تـشغله قـضية واحـدة اسـمها القـضية الوطنيـة.. بيـنما الآن تعـددت الأيـدلوجيات وكثـرت، وأصبحت ذات أهمية كبيرة.. كذلك دخل جيلنـا في معركـة اللغـة وكانت جديدة؛ لأن اللغة كانت لغة فكر ولغة أدب ولغة سياسـة.. لكن هـل هـي لغـة روايـة وقـصة وتكـون في الوقـت نفـسه هـي الفصحى؟ فهذه كانـت المـشكلةَ، وبالتـالي دخلنـا في صراع كبـير؛ لكي نذللها. أما الجيل الحديث فقد استفاد من هذا الصراع، وابتـدأ منطلقًا.. متحررًا.. فكانت لغته أكثر خصوصية وأكثر إبداعًا..

قلت عن جيلك إنه كان جيل قضية، وهي القـضية الوطنيـة في المقام الأول؛ فما قضية الجيل الحالي؟

- من قضاياه قضية الشعب قِبَل الدولة .. وقـضية الأمـة العربيـة في مواجهة الأمم الأخرى.. وقضية الفرد الذي يجاهد؛ لكي يخلـص من ضـياعه وقيـوده.. ولـذلك أدب هـذا الجيـل - في الحقيقـة - مضمونه ثوري أكثر من الذي مضى، رغم أن ما مضى كان شـعاره الواضح الثورة ضد الأجنبي.. لكن هذا أكثر ثورية؛ لأنـه تغلغـل في أعماق أكثر الناس.

☜ لكن هل تعتقد أن أدباء هذا الجيل واعون تمامًا لهذه القضايا التي تحدثت عنها الآن؟

- بالعكس نحن في جيلنا، كان الأدب يأتي منبثقًا من عدم الوعي، فالأديب كان يكتب ويهيأ له أنه يكتب عن قصة غرامية؛ فيفاجأ أنها طبقية؛ لكن ههنا الوعي واضح أكثر، وينابيع الثقافة ومصادرها أصبحت الآن متاحة بكثرة من ذي قبل.

☜ ما هو الأفضل أدبيًّا؛ أن يضع الأديب أمامه القضية أولًا ويقول: سأكتب عن قضية كذا، أم يكتب مثلما كنت تكتب رواياتك، وتقول: إنك لم يكن قصدك منها أن يكون الهدف سياسيًّا أو اجتماعيًّا.. وبعد ذلك تخرج هكذا؟

- الوعي قد يكون ميزة وقد يكون عيبًا.. وعدم الوعي قد يكون أيضًا كذلك.. والعبرة بالنتيجة.. لكن المهم أن تجد عملًا فنيًّا متماسكًا يعبر عن ذاته تعبيرًا جميلًا لا تكلُّف فيه، ولا اصطناع.. فإذا وجدت هذا العمل فلا تسأل كيف أتى ذلك؟.. سواء ابتدأ ذلك من فكرة.. أو من واقعة.. أو من شخص؛ فهذا شيء يتبع الظروف..

التوازن بين التيارات المختلفة

البعض يسمي هذا العصر عصر الإيمان والبعض الآخر يسميه عصر العلم.. رغم أن الكثيرين لا يرون أي تعارض بين الإيمان والعلم؛ ما رأي الأستاذ نجيب محفوظ في ذلك؟

- أنا أعتقد أن الإنسان الكامل أو القريب من الكمال يجب أن يكون متوازنًا..فيكون مثل الآلة التي إذا أردت أن تطمئن لقوتها ولمرونتها ولأداء وظيفتها - يجب أن يعمل كلُّ جزءٍ فيها ويتغذى بغذائه الكامل. وقد تأتي ظروف تغلِّبُ جانبًا على جانب؛ فيحدث عدم توازن تكون نتيجته رد فعل من نوع آخر غير متوازن.. لكن الهدف كله من ردود الأفعال المتطرفة هذه، هو الوصول إلى التوازن؛ فالإنسان في الحقيقة محتاج إلى العلم، فهناك قدرات لا تتغذى ولا تعيش ولا تستنير إلا بالمنطق والعلم وبالملاحظة والمنهج العلمي، وهناك جوانب أخرى تتطلع لما نسميه بالذوق أو البداهة أو الإيمان.. نحن عندما نصطدم بحضارةٍ متفوقة علينا جدًّا؛ بسبب العلم والمنهج العلمي والمادية؛ نجد أنفسنا نجري في هذا الطريق جريًا، لدرجة أننا ننسى الجانب الآخر؛ فتكون النتيجة

تيارات دينية متطرفة؛ لكي تعيد التوازن.. لا الحركة الأولى على صواب.. ولا الحركة الثانية هي الأخرى على صواب.. وإنما الحركة الطبيعية أن يعالج الإنسان الدنيا ومشكلاتها بالعقل والعلم وبالمنهج العلمي، ويقف مما وراء الدنيا بقلبه وذوقه متطلعًا لجمال هذا الوجود؛ حتى لا يكون مجرد معيشة واستهلاك وتنمية وبيع وشراء.

☜ هل نفهم من هذا أن الإيمان يجب أن يكون هو الخلفية لكل هذا؟

- لا شك في ذلك، وحقيقة كان هذا التوازن موجودًا في حياتنا في وقت من الأوقات، ونحن نحاول أن نستعيده.. أي إننا لا نحاول استعادة الماضي بجزئياته في الحياة اليومية والقضايا والمشاكل.. وإنما في شعاره؛ وهو التوازن بين القلب والعقل.

وقفة مع الحرافيش

☜ اجتماع الحرافيش، والندوة الأسبوعية التي تعقدها كل أسبوع مع أستاذنا الأستاذ توفيق الحكيم.. تمثل إيقاعًا منتظمًا، وترابطًا يفتقده الجيل الحالي.. هل ترى ذلك؟

- لا أعرف بالضبط؛ ولكن أنا لي اجتماع أسبوعي في كازينو قصر النيل مع أصدقاء كلهم من الجيل الذي تتحدث عنه، وهم حريصون على التلاقي والترابط وعلى تبادل الفكر..

هم يلتقون عندك؛ فهل لهم لقاؤهم الخاص مثلك؟

- لهم لقاؤهم الخاص كذلك، وهذا يدل على الترابط.

الترابط على المستوى العام مفتقد في أشياء كثيرة.. في العالم كله.. أليس كذلك؟

- بالتأكيد؛ لكن لا نستكثر ذلك على مجموعة منتخبة من الخواص وصفوة مثقفي الشرق..

هل اجتماع الحرافيش ما زال قائمًا إلى الآن؟

- ما زال قائمًا، يحضره الباقي منهم.. فما زال الباقي منهم يلتقي، ويتذكر الأغلبية الذين توفاهم الله برحمته..

ما أهم الظواهر التي تراها عندما تسير في الشارع، أو تراها في البيت المصري؟

- أهم الظواهر التي نراها في الشارع المصري، هي الزحام غير المعقول؛ بحيث لو تأخرت قليلًا عن موعد العودة؛ أجد نفسي أسير متلاطمًا مع الناس، والمشي أغلبه غير مريح؛ فهو على

أرصفة مكسرة.. ومن الظواهر أيضًا ظاهرة المعاناة في البحث عن مواصلات ترجعك إلى البيت.. وإذا كنت تريد شراء أي شيءٍ وتملك ثمنه؛ فالحصول عليه كذلك في ظل زحام المواصلات أمرٌ صعب للغاية..فهذه كلها ظواهر حديثة جعلت كل خطوة بمعاناة، وهي ظواهر في الحقيقة لم نكن نراها من قبل ولم يكن لنا عهد بها.

☜ هل معنى ذلك أن إنسان هذا العصر يُعاني أكثر من إنسان العصر الماضي؟

– هذا أمرٌ لا شك فيه.. ولا شك أيضًا أن لكل عصر همومه.. فمثلًا في عصرنا كان الواحد منا يقول وهو ما زال في الجامعة: يا ترى سأجد عملًا أم لا؟ ورغم ذلك كانت الأعصاب أهدأ والأمور كانت ميسرة، والثقافات متنوعة والملاهي كثيرة، وكانت الحياة بالنسبة لنا تعتبر أحسن كثيرًا..

أغاني العصر

☜ ما رأي الأستاذ محفوظ في أغنية اليوم أو ما يمكن أن نسميه أغنية العصر؟

– في الحقيقة، إنك تكلم رجلًا له قدرة كبيرة جدًّا على تذوق كل أنواع الأغنية؛ لذا أشعر بسعادة غامرة عندما أجلس وأسمع

التواشيح العربية في التلفزيون أو سهرة لأم كلثوم أو أسطوانة لمحمد عبد الوهاب.. أو شريط كاسيت لعبد الحليم حافظ؛ لكن بعد اختفاء عمالقة الغناء لاحظت أن الذين من مدرستهم في الحنجرة وفي المذهب لم أعد أتابعهم بالحماس نفسه؛ لأني تعودت سماع العمالقة.. ورغم ذلك إذا كانت هناك حاجة جديدة جدًّا من الممكن أن أسمعها حتى إن لم أعتبرها جوهرية.. أقصد الغناء الذي يحاول الظهور لا بالتخت؛ ولكن بالفريق الإفرنجي، فهذا أحيانًا أسمعه وأجد فيه جمالًا.. كما أن هناك أغاني حديثة أنتم قد تقاطعونها مثل أغاني عدوية وغيره؛ ولكني أجد فيها كلامًا وأنغامًا تعجبني وتتماشى معي كذلك؛ لذا تجدني أطرب لهؤلاء.. ومع ذلك أجد أن هناك صلة بينها وبين فوضى العصر .. حيث صاغت فوضى العصر في قالب غنائي جميل، فمثلًا من يغني ويقول: (نار يا حبيبي نار.. فول بالزيت الحار..)، فقد تظن أن هذا كلام فارغ؛ ولكن عندما تسير في الشوارع وتجد المجاري طافحة ألم يصبح له معنى؟

☜ ولكن ألست تتفق معي في أنها ظاهرة تترجم روح العصر، وأنها تحتل المجال كله؟

- بلى هي ظاهرة؛ لأنها لم تولد من لا شيء أو من الفراغ؛ والسؤال هنا، هل مثل هذا الغناء يسمعه ملايين أم لا؟! فإذا كان ذلك متحققًا، فهو غناء مثل غيره؛ لأن الغناء ليس هو الذي يعجبني ويعجبك فقط!.. بل هو ما يعجب الملايين من الناس أيضًا.

طبقة ما بعد الانفتاح

وهذا ينقلنا إلى قضية أخرى، وهي هل نعطي للناس ما يريدونه أم ما يحتاجونه؟

- الحقيقة.. أنك ستلفتنا تلقائيًّا ودون أن ندري إلى ما يقال عن المسرح الحديث، وقد كتبت شيئًا حول هذا الموضوع؛ ولكنه لم ينشر بعد.. والحكاية ليست كذلك؛ فهناك أناس على قدر من الثقافة، والذوق؛ لكنهم لا يستطيعون شراء تذكرة الدخول للمسرح، لذا يفضلون الجلوس في البيت، ويكتفون بمشاهدة التلفزيون.. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى السوق ملأى بطوائف جديدة من أصحاب الحِرَف الذين أغناهم الله.. ولا يصح أن نغضب عندما يغنيهم الله من فضله بل ينبغي أن نسعد بذلك جدًّا، وندعو لهم بالمزيد؛ فقد كنا - كتَّابًا

واشتراكيين - ندافع من أجل حقوق هذه الطبقات، وإني أرى أن من حسنات الانفتاح مهما قلت فيه: أنه كان خيرًا وبركة على هذه الطبقات، هذا أولًا.. وثانيًا هذه الطبقات أليس لها الحق في التسلية مثلنا؟! وما دام لها الحق في ذلك، فلا بد من وجود فن يناسبها؛ لأنه إذا كان الرزق والغنى قد جاءها، فإن الثقافة لم تأتِ إليها بعد، ولذا جاء إليهم هذا الفن الذي يناسبهم، فهناك ناس يقدمون مثل هذا الفن.. إذن ما الذي يجعلك تغضب من ذلك؟! إذا كان يغضبك هذا اللون من الفن فلا تذهب لتشاهده! وفي الواقع كان هناك دائمًا فن راقٍ في شارع عماد الدين ورمسيس، وفن آخر في روض الفرج للطبقات الشعبية، وكانت هناك أغنية سيد درويش وأم كلثوم وعبد الوهاب، وغناء شكوكو والجزائرلي.. فهذا كان موجودًا وذاك كان موجودًا هو الآخر.. وذلك الأمر ينسحب على كل العصور.. وخلاصة الأمر أن هؤلاء لما كثروا وأكلوا السوق تهيأ للناس أن هناك ظاهرة جديدة، بل بالعكس الظاهرة هي نفسها القديمةُ..

وأمر آخر أشير إليه، وهو أنه إذا كان هؤلاء يحبون المسرح والسينما أيًّا كانت درجتها فهذا أفضل من أشياء أخرى فارغة قد يلجئون إليها،

كما أنه يعد مكسبًا كبيرًا.. أيضًا نرى أولاد هذه الطبقات يتعلمون اليوم في الجامعة الأمريكية، وليس في الجامعة المصرية، وهذا معناه أنهم سيصبحون فيما بعد طبقةً مثقفةً جديدةً أصبح المسرح والسينما من تقاليدها الأسرية، وسيرتقون بالفن.. وهذه مرحلة.. فلا تنزعج مهما حدث!

- وفي هذا السياق أسمع أناسًا يقولون: هذه مسرحية غير مضحكة.. وهذا في الحقيقة قول سخيف! لأن المسرحية تُضحك الملايين؛ فهل لأنها لا تضحكك أنت؛ تحكم عليها بأنها غير مضحكة؟! .. أهذا كلام يعقل!!. فالنكتة مثلًا تختلف من طبقة لطبقة ومن ثقافة لثقافة.. أي إن النكتة التي تُضحِك بها صديقَك غير التي تُضحِك بها الشغال عندك، وهكذا..

النكتة المصرية

☜ ما دمنا تطرقنا للنكتة، وفي ضوء التغيرات التي شهدها العصر.. هل النكتة المصرية التي اشتهر بها المصريون هي نفسها الموجودة الآن في هذا العصر؟

- أعتقد أنها قَلَّت عما قبل؛ نظرًا لمشاغل الناس المتعددة، كما أن هناك جدية أكثر.

دور المثقفين

أود أن أعرف من الأستاذ نجيب محفوظ رأيه في دور المثقفين في هذا العصر؟

- المثقف في هذا العصر يجب أولًا أن يبدأ بتثقيف نفسه هذا من جهة.. ومن جهة أخرى، من يعرف قيمة الثقافة؛ يجب عليه أن يعرف أن واجبه الأول في الحياة هو إتاحة الثقافة للناس بكافة الوسائل.. فإذا كان ثمن الكتاب غاليًا يجتهد ويوفر الكتاب المجاني أو يتيح الاستعارة، ويعمل على تشجيع حركة التأليف، وتشجيع المؤلفين.. وإذا كانت السيطرة للتلفزيون؛ يتعاون معه، وليس من الضروري أن يعرض في عشرين ساعة موضوعات كلها تسلية، وبعد ذلك لا يخاف على مزاج المشاهد الذي يوليه اهتمامًا زائدًا.. كذلك لا بد أن يعطي جرعات، ويشعر أنه في هذا الوقت مسؤول عن تثقيف الأغلبية، وعن تثقيف المثقفين الفقراء وما أكثرهم! فيقدم هذه الجرعات وأنا أعتقد أنهم يفعلون هذا، فعندما تشاهد التلفزيون ستجد الجرعات الثقافية التي يقدمها ليست كبيرة أو المطلوب منه ليس كثيرًا كما نرغب؛ فهو يقدم أمسيةً ثقافية، ويعرض العالم تحت البحار، ويقدم

السياحة حول العالم، وفيلم الأوسكار ومسرحية عالمية، وهذا شيء جميل، لكن المطلوب الإكثار من هذا ولو قليلًا، وألا يخاف بدرجة كبيرة لدرجة الحساسية على مزاج المستمع؛ لأنه مثلما يثقف الـ٩٠٪ يجب ألا يهمل الـ١٠٪.

موضات العصر

☜ هل الكاتب الكبير الأستاذ نجيب محفوظ يتابع موضات العصر؛ فمن الملاحظ ظهور موضات كثيرة في كل شيء، بمعنى أن الموضة لم تقتصر على الملابس فقط، بل دخلت أشياء كثيرة بما فيها الفن والأدب، حيث ظهرت فيهما موضات كثيرة أيضًا؟

- نعم.. فأيٌّ موضة نسمع عنها؛ نحاول دراستها لنعرفها حتى وإن لم نقتنع بها؛ فما يسمونها بالرواية المضادة أو اللارواية أو ما شابه، كل ذلك حاولنا قراءته وفهمه، وإن كنا لا نؤمن به ولا نعرفه ولا نعرف ظروفه، وهكذا فالإنسان لا يصح أن يكون منغلقًا على ذاته.

☜ ولكن ألا تلاحظ أنها أصبحت ظاهرة متتابعة أو متلاحقة؛ فكل يوم نسمع عن موضة جديدة، وهل ذلك راجع إلى أننا نعيش في عصر السرعة مثلما قلت؟

- نعم، بالإضافة إلى أن السوق كذلك ظلت متغيرة، وأعتقد أن لذلك أسبابًا اقتصادية؛ من أجل ترويج السلع والبضائع باستمرار.. كما أن الناس لم تعد تحتمل البقاء على وتيرة واحدة مدة طويلة.. فهم لا يستطيعون ذلك، وحتى إن هم احتملوا فالذين يستفيدون من التغيير لا يجعلونهم يحتملون..

لو افترضنا أن واحدًا من هذا الجيل أو هذا العصر قال للأستاذ نجيب محفوظ: يا أستاذ نجيب أريدك أن تقول لي: أين أقف، وأين أذهب، وما المطلوب مني؟ فماذا تقول له؟

- أرى أن هذا الجيل أمامه تحديات كبيرة، وهي مثل التحديات التي واجهت العالم العربي بعد انتصار أوربا باسم الحروب الصليبية؛ عندما استعمرته أو استعمرت أجزاء منه حوالي قرنين.. أو مثل حالة الإنسان في هذا الوطن بعد اجتياح التتار وتخريب بغداد، وتهديد بقية البلاد الإسلامية.. فهناك تحديات كبيرة جدًّا؛ وإن كان ليس لنا أعداء الآن بقوة هؤلاء الأعداء، فإنه يوجد الآن عدو أشد من كلٍّ هؤلاء.. وهو التخلف في

عصر السرعة العلمية الذي لا يعرف الرحمة؛ فنحن إن لم نسرع في انتشال أنفسنا من ذلك؛ فسيجيء اليوم الذي يأتي فيه السياح لمشاهدتنا باعتبارنا شعبًا تخلَّف عن ركب الحضارة، بدلًا من زيارة معالمنا.. فهذا الجيل يحتاج إلى عزيمة كبيرة جدًّا؛ لانتشال الوطن العربي من كل سلبياته، ووضعه على الطريق الصحيح ودفعه بأكبر قوةٍ؛ ليسير في ركب الحضارة والتقدم وإلا ضاع.. أنا لا أشل حركتك بتصوير التحديات بهذا الشكل؛ ولكني أريد أن أقول لك: إن الإنسان لا يثبت جدارته إلا أمام التحديات..

خاصةً إذا كان من أمة تملك مقومات التصدي والتحدي.. أليس كذلك؟

- بالتأكيد.. فأساس الحضارة عندنا نشأ من وجود تحديات طبيعية في الجو.. وعندما تغير الجو كنا بين أمرين بين الفناء والتحدي.. فتحدينا وخلقنا الحضارة.. ففي فترة ما قبل التاريخ جفت الوديان في مصر ونشأت الصحاري، فكان عليهم أن يواجهوا هذا التحدي، فمنهم من هرب، ومنهم من صمد، والذي صمد

أخضع النيل وقام بالزراعة وأنشأ الحضارة.. فهذه التحديات أنا لا أقولها؛ لأكسِّر المجاديف بالعكس أريد أن أحركها.. بمعنى أن على الشباب أن يقفوا كأجدادهم ويتحدوا ويعلموا أن عدوهم الأول هو التخلف..

نحن نرجو أن يجد هذا الكلام آذانًا مصغية من الجميع..

- وأنا أرجو للوطن العربي كله التقدم والازدهار ومعرفة الطريق الصحيح، والتغلب على كلِّ العَسَرات المصطنعة التي تعطل تقدمه.

أطلقت على أصدقائك من الكتاب والفنانين الذين كنت تجلس معهم على مقهى الفيشاوي اسم جماعة الحرافيش، كيف تم ذلك؟ وكيف كان حوار الحرافيش مع المكان؟ وما ذكرياتكم معه؟

- الحرافيش كانوا جماعة من الأصدقاء يجمعهم الفن والأدب، ولقب الحرافيش هذا تم إطلاقه مصادفة، حيث أطلقه علينا الفنان أحمد مظهر على سبيل الفكاهة.

من هم أعضاء الحرافيش؟

- الحرافيش كان عددهم كبيرًا، بعضهم رحل عن دنيانا، وبعضهم اعتزل لأسباب خاصة مثل الزواج أو كبر السن،

وبعضهم تصوف مثل مصطفى محمود، فقد كان من الحرافيش، ولم يبق منهم الآن - المحافظون على المقابلات - إلا خمسة أو ستة أفراد.

☜ ومن هم هؤلاء الخمسة أو الستة؟

- أحمد مظهر، وعادل كامل، وتوفيق صالح، وبهجت عثمان، ومحمود شبانة، وأنا، ولكننا حينما كنا نجتمع في بيت المرحوم حسن عفيفي كنا أكثر من ٢٥ فردًا.

☜ أود أن أسألك الآن عن التغييرات التي حدثت سواء في حي الحسينية أو في العباسية.. ما الذي تغير؟

- حي الحسين بشكل كبير محافظ على ذاته وحتى ما تم تجديده فقد زاده جمالًا، وهو محافظ على الطابع الشرقي كذلك، أما الأماكن القديمة فقد أهملت بعض الشيء، حيث كانت تعاني أزمة نظافة وأزمة صيانة وهكذا.

أما العباسية فتغيرت تغيرًا كليًّا وبنيت فيها العمارات الشاهقة وأصبحت مزدحمة وخانقة جدًّا، وصارت نموذجًا مثاليًّا للقاهرة الجديدة بكل ضوضائها وازدحامها، ولا تجد فيها أي شيء مما يذكرك بما كان سابقًا.

هل يوجد بالإضافة إلى هذه الأماكن مكان آخر ارتبط معك بذكريات أو حدث بينك وبينه حوار ما؟

- لا يوجد غير الإسكندرية التي أذهب إليها في الصيف، وقد زرت رأس البر مرة، وكانت جميلة جدًّا وقتها، ولا أدري ما حدث لها الآن.

ألم يحدث هذا الحوار بينك وبين أية مدينة في العالم؟

- لا.. فيما عدا أيام قضيتها في اليمن وكانت جميلة جدًّا.

أود أن أتطرق معك الآن إلى علاقة المبدع والأديب بالمكان الذي نشأ فيه والشخوص الذين نشأ بينهم أو التقاهم في مسيرة حياته.. فهذه العلاقة الجدلية تظهر في كتابات كاتبنا الكبير نجيب محفوظ أكثر مما تظهر عند أي مبدع آخر؛ حيث تكشف عناوين رواياتك كم للمكان من أثر في حياتك والحوار الذي يثيره المكان في نفسك، فهل لك أن تحدثنا أكثر عن المكان الذي تلقاك طفلًا؟

- المكان الذي تفتحت عليه عيناي كان القاهرة القديمة كما تعلم، أو حي الحسين بحواريه وأزقته ومياديته وآثاره ومساجده وأضرحته، وبناسه أيضًا نساء ورجالًا، ومجاذيبه وشحاذيه، ولا شك أنني تشربت هذا الحي بالكامل، ولم أدرك عشقي له إلا حينما خرجت منه؛ لأنني حين كنت

أعيش فيه لم أكن أدرك قيمته أو أدرك أنني أعيش في مكان له ميزات خاصة، وعندما انتقلت إلى مناطق أخرى يمكن أن تكون أرقى وأجمل، بدأت أحن إليه، وأحس بميزاته الخاصة، ولذلك كان رجوعي للحي القديم شعورًا ملحًا بالحنين أشد مما كنت أشعر وأنا فيه، وشعرت حقيقة كم أعشق هذا المكان.

☜ هل ولدت أساسًا في حي الحسين؟

- نعم.. ولدت ونشأت فيه، وظللت مقيمًا فيه حتى سن ثماني أو تسع سنوات.

☜ بالفعل، السنوات الأولى تترك بصماتها دائمًا، وتظل ذكرياتها مدى العمر.. وهذا يدفعني إلى أن أسألك: ما الذي يميز حي الحسين بين الأحياء والمدن المصرية؟ أو ما هي شخصيته ومقوماته الأساسية بين الأحياء الأخرى؟

- هذا الحي له ميزات لا تجدها في غيره، منها أنه معاصر بحكم الزمن الذي يعيش فيه الآن، لكنه مختلط بتاريخ قديم جدًّا يحمله معه عبر العصور، كما أنه يحافظ جيدًا على معالمه ورموزه الأساسية، فأنت حين تدخله تشعر بأنك قد دخلت أكثر من عصر واحد، حيث

تختلط فيه في وقت واحد العصور التاريخية على تعاقبها.. وهذا سر بقاء التقاليد الموجودة عند أهل هذا الحي إلى هذا الوقت، كما يوقفنا على أهميتها؛ حيث تحافظ على مذاق العصر القديم، فهي في مكانها الصحيح، وما يستجد عليها تهضمه وتحوله إلى شيء جديد، فكل هذا يمنح هذا الحي بالذات هذا الطابع الساحر والعجيب.

وما هي أشهر معالم حي الجمالية التاريخية التي يراها من يذهب إلى هذا الحي؟

- طبعًا الحمامات والمقاهي والمساجد بشكل أساسي، والأزقة والبوابات، ونسق البيوت القديمة، التي إذا تهدمت فستستطيع أن تستنتج كيف كان شكلها، والأسبلة.

أنت عشت في هذه الأماكن.. ومن الطبيعي أنك جربت أن تدخل إلى أحد الحمامات وتتعامل معها.. فما كانت تجربتك معها؟ وهل حضرت الموالد التي كانت تقام في هذا المكان؟

- نعم.. دخلت أحد هذه الحمامات مرة في أحد الأعياد مع والدي.. كما حضرنا هناك الموالد..

بالتأكيد الاحتفالات الشعبية والمناسبات الدينية في هذه المناطق لها شكل وطابع خاص.. ومن هذه الاحتفالات الشعبية

احتفال المحمل، فهل من الممكن أن تصف لنا مظاهر هذا الاحتفال الذي لم تمتعنا بوصفه في إحدى رواياتك؟

- احتفال المحمل كان له طابع خاص، ففي احتفال كبير ومسيرة مهيبة جدًّا يسير فيها كبار رجال البوليس، وكبار قواد الجيش كانت تنقل كسوة الكعبة التي كانت تعدها مصر، وترسلها إلى مكة ومعها صرة من الأموال لتوزع هناك، حيث كانت الكسوة تأتي مفرودة على صناديق كبيرة واحدًا تلو الآخر لعرضها وهي منقوشة بالقصب المذهب، ثم يأتي جمل المحمل حاملًا أكبر قدر من الكسوة، وفي مشهد رائع وجميل يخترق الموكب الشوارع الممتلئة بالناس على الجانبين، حتى يصل إلى القلعة ثم يطوى ويحمل في الصناديق، ويمضي في طريقه إلى الحجاز.

هذا عن الحي ومعالمه الدينية والتاريخية والأثرية وذكرياتك معها، فماذا عن أهل هذا الحي؟ ما الميزات التي كانت تميزهم عن غيرهم من أهل الأحياء الأخرى؟

- بالطبع كانت لهم ميزات خاصة، ولكن - كما تعلم - المصريون نسيج واحد ووحدة واحدة، فلا توجد ميزات في مكان غير موجودة في مكان آخر، وإنما من الممكن أن تكون في مكان

أقوى من الأماكن الأخرى، ففي العباسية مثلًا يحافظون على التقاليد أيضًا ولكن في الحسين المحافظة أشد، وأيضًا هناك في العباسية - حيث أسكن الآن - ترابط بين الجيران والأقارب ولكن أيضًا في الجمالية أشد فهذا الترابط في الجمالية شيء شبه مقدس، ولكن أيضًا هناك أشياء خاصة مثل الفتوات، لأنهم كانوا يرتبطون بالحواري فكل حارة في الحسين كان لها حامٍ.

معنى هذا أن الفتوة كانت في البداية للحماية.. أليس كذلك؟

- نعم.. أما كونه يتعامل مع أهل الحارة بشكل جيد أو سيئ، وما يأخذه منهم؛ فهذا راجع لخلقه، إنما على أسوأ الاحتمالات إن كان يعاملهم بشكل سيئ جدًّا فهو يحميهم أيضًا.

هل رأيت الفتوات وعاصرتهم؟

- نعم.. ومن نفس النافذة التي رأيت منها ثورة ١٩١٩ رأيت مشاجرة بين الفتوات في المساء، فقد كانت الأفراح ومناسبات الزفاف هي الفرصة الأنسب لتخليص الثأر القديم بين الفتوات، فالزفة حين تخرج من الحارة فهي فرصة مناسبة إذا كان بينها وبين حارة أخرى عداوة، فيتربص الفتوة من الحارة المعادية للزفة فيقلب الفرح مأتمًا، ولذلك كان العريس دائمًا

محاطًا بالكلبات وبالفتوات؛ لحمايته، وكان الناس يدعون الله ليمر هذا اليوم على خير.

☜ **سنناقش موضوع الفتوات بالتفصيل في هذا الحوار؛ لأنه موضوع تكرر في إنتاجك بشكل ملفت، ولكن لي وقفة مع بقية الشخصيات التي التقيت بها في هذا الحي، مَن منهم لصق بذاكرتك؟**

- كان هناك أصحاب الطرق الصوفية، فقد كان منهم أشخاص طيبون جدًّا، وأتباعهم الذين يقلدونهم افتعالًا وتمثيلًا وكان اسمهم المجاذيب، رجالًا ونساء، وكانوا موجودين في المنطقة التي كانت تسمى الباب الأخضر.. هذه المنطقة الآن تجددت وامتلئت بالشركات، وصارت أنيقة جدًّا خاصة بعد أن تم تطهير الحي والقضاء على ظاهرة الشحاذين والمجاذيب.. فهذه كانت أكثر الشخصيات تأثيرًا علي في البداية.. بالإضافة إلى قارئي الطالع وأمثالهم، حيث كانت المنطقة كلها تعيش تحت سيطرة الغيبيات.

☜ **هل قابلت من بين هذه الشخصيات شخصيات معروفة، مثل شيخ أو كاتب أو فنان أو مدرس أو معلم في الكتاب؟**

- الكتاب والفنانون كانوا يأتون إلى هذه المنطقة كسائحين؛ هذا إذا كانوا من أهلها، فيجلسون في مقهى الفيشاوي، ويفتحون جلسات السمر والندوات، وكان معروفًا أن المنفلوطي له مقهى معين تدعى مقهى (كتكوت)، يلتقي فيه بالكتاب والأدباء، ولكنني لا أعرف أين هي الآن؛ فقد سمعت عنها ولم أرها، ولكن المقهى الشهير كان مقهى الفيشاوي، فقد كانت أشهر مقهى بالحي.

ولكن متى بدأت في الجلوس عليها؟

- أنا لم أجلس على مقاهٍ بالجمالية إلا بعد أن انتقلت إلى العباسية مع الأسرة، فبدأت أذهب مع أصدقائي لزيارة الحسين، فكنا بعد أن نشاهد الأماكن الأثرية نبحث عن مكان لنرتاح فيه، وأثناء البحث وجدنا مقهًى صغيرًا مزينًا بالأرابيسك في زقاق المدق، فكنا نجلس فيها إلى أن عرفنا بعد ذلك مقهى الفيشاوي وأخذنا منذ ذلك الوقت نجلس هناك، والمكان هناك ينمي الخيال ويجعلك تفكر في تعاقب العصور.

هل تذكر المرة الأولى التي رأيت فيها لافتة زقاق المدق؟

- لا أعتقد أنني ذهبت إلى هذا المكان وأنا صغير، فقد كنت لصغر سني لا أترك منطقة بيت القاضي إلا مع والدي

أو والدتي، فما الداعي إلى أن أذهب إلى زقاق المدق؟ لكن عندما أصبحت في المرحلة الثانوية كنت أسير مع أصدقائي بحثًا عن المناطق الغريبة لنجلس فيها.

هل خطر في ذهنك في هذا الوقت أنك ستخلد ذكر هذا المكان في عمل من الأعمال؟

- لم تكن فكرة الكتابة قد تكونت في ذهني في ذلك الوقت، ولكن كان الذي يغلب علي هو التعلق بالفكرة المجردة؛ فقد كنت أقرأ لأساتذة هذا العصر الكبار وكانوا جميعًا مفكرين، ولكن مع الوقت بدأ سحر المكان يطغى على العقل، وما دام الإنسان تعلق بمكان بهذا الشكل فاحتمال أن يكتب عنه أصبح واردًا.

بالعودة إلى فكرة المقاهي.. مَن الذين كانوا يجلسون معك في هذا الوقت المبكر من حياتك؟

- أصدقائي وزملائي من العباسية - رحمهم الله، فقد رحل أغلبهم عن دنيانا.

فيم كانت تختلف العباسية عن حي الجمالية؟

- كانت العباسية مختلفة اختلافًا كليًّا، فقد كانت العباسية الشرقية كلها قصور ومنازل كبيرة يسكنها العائلات الكبيرة،

أما العباسية الغربية - حيث انتقلنا - فكانت البيوت صغيرة، ولكن كان لكل بيت حديقة صغيرة وأنيقة، وكل أسرة كان لها بيت مستقل، فموضوع السكان والإيجار لم يكن منتشرًا، وكانت كل الفراغات بعد هذا حقولًا مزروعة، فشارع أحمد سعيد المزدحم الآن كان كله حدائق، فكأننا نسكن في الريف، ولكنه متمدين دخلته الماء والكهرباء ومزود بكل المرافق، وبالجملة كانت المنطقة هادئة جدًّا.

إذا كانت العباسية ليست أقرب الأحياء للجمالية، فهل هناك رابط بين المنطقتين؟

- نعم.. كانت العباسية هي المهجر الطبيعي، فأغلب الهجرات التي حدثت إلى العباسية كانت من منطقة الجمالية، حيث كانت في ذلك الوقت صحراء شاسعة، وكانت الأرض هناك رخيصة جدًّا، فاشترى الأعيان مساحات واسعة، وكان يبنى القصر وكأنه قلعة، والحديقة واسعة مترامية الأطراف ومليئة بالتماثيل والتحف، ولكن كل هذا انتهى بعد أن بنيت العمائر وازدحم المكان.

يدل هذا على أن سكان العباسية كان يغلب عليهم طابع الثراء أليس كذلك؟

- كان أهل العباسية هم الطبقة المرتفعة قليلًا في الجمالية والذين يملكون أن يشتروا ويبنوا منازلهم الخاصة، فقد كانت الحارة في الجمالية تجمع الثري الذي يملك بيتًا كبيرًا به حرملك وسلاملك وبجواره بيت صغير يملكه أحد أفراد الطبقة الوسطى، وفي الحارة نفسها تجد ربعًا مقسمًا إلى غرف يسكنها العسكري البسيط والعمال وأمثال هؤلاء كلهم بجوار بعضهم ويعرفون بعضهم جيدًا.

☜ وفيم كان يختلف مقهى الفيشاوي عن مقهى قشتمر بالعباسية؟

- الفيشاوي كان مقهى يغلب عليه الطابع الفلكولوري فتجد الأرابيسك والطبقات الشعبية ورواد حي الحسين، فيجعلك تعيش في جو خاص، أما في قشتمر تجد نفسك في مقهى أنيق روادها من الطبقة الوسطى المحترمة، وهناك - أيضًا - مقهى عرابي، وهذا لم أجلس فيه إلا مؤخرًا؛ لأنها كانت مقهى الأعيان، حيث كان عرابي هذا فتوة الحسينية، وقد كان يجلس عنده الأعيان؛ لأنه يساعدهم في الحملات الانتخابية ويمنحونه الهدايا وما إلى ذلك، ولذلك كان عرابي ملك الحسينية.

أيضًا من الأماكن التي خلدتها في أعمالك ذلك الفندق الصغير المطل على البحر في الإسكندرية، ميرامار.. فما قصة هذا المكان؟

- لا يوجد فندق في الحقيقة اسمه ميرامار ولكن كان هناك عمارة كلها بانسيونات وتحتها مقهى ميرامار، وكان يجلس فيها شيوخ البرلمان والأعيان، وأنا لم أجلس هناك كثيرًا؛ لأن أغلب روادها كانوا من كبار السن. أما البانسيون فقضيت فيه إجازة صيف واحدة وكانت صاحبته ألمانية، وكانت الغرف في غاية الأناقة والنظام والبانسيون كان نظيفًا جدًّا ورخيصًا في الوقت نفسه، فميرامار كان مقهى وليس فندقًا.

لا يوجد مكان بلا زمان، وهذا وجدناه من خلال تداخل الأزمنة الذي تكلمنا عنه في حي الجمالية، ورأيناه في روايات الأجيال التي كتبتها بعد ذلك.. فهل نبالغ كثيرًا إذا قلنا إن مفتاح الرواية عندك هو المكان؟

- نعم لا يوجد مكان بلا زمان، وهو ما يدلك على أن الزمان مهم جدًّا بجوار المكان، ففي مجرى الزمان تتغير أشياء كثيرة على رأسها الإنسان نفسه.

☜ هل نعتبر أن تعاقب الأجيال قد استهواك كتكنيك أدبي فأنتجت لنا من خلاله رواية «أولاد حارتنا» التي تتعاقب فيها عصور البشرية كلها.. هل هذا صحيح؟

- في «أولاد حارتنا» عندما بحثت عن المعادل للدنيا أو لمصر، فكان الحارة فهي المنطقة التي أحبها.

☜ إذن فأنت تحب الحارة وتحب المقهى.. أليس كذلك؟

- نعم.. فأفضل حالاتي تكون حينما أكون في الحارة.

☜ الكاتب الكبير نجيب محفوظ.. وعدتنا بوقفة عند قصص الفتوات وهم من أهم الشخوص الذين التقيت بهم في هذا المكان وشاهدت الطريقة التي تطورت معهم بمرور الزمان؛ بعد أن أصبحوا حماة للبشر في هذا المكان، ولذا كان لهم الأثر الأكبر في الحوار الذي دار داخلك بين الإنسان والمكان.. ما أهم المواقف والحكايات الخاصة بالفتوات والتي أثرت فيك، وخلدتها في أعمالك إلى درجة أنهم أصبحوا فيها أبطالًا شعبيين؟

- عندما كنت في الحي العتيق - الجمالية - كانت معرفتي بالفتوات معرفة سطحية، ولكن عندما انتقلنا إلى العباسية وجدنا هناك أشهر فتوة في مصر وهو عرابي الذي ذكرته، ولو رأيته ستجد أنه لو ارتدى البدلة لبدا فيها وكأنه زعيم، حيث كانت له هيبة ونفوذ ضخم، فكنت تراه يركب فرسه ويجري في العباسية وكأنه مالك المكان.. وقد رأيته بعيني وهو يحمي مأمورًا في البوليس، وكان ذلك قبل معاهدة ١٩٣٦ أثناء قوانين الامتيازات الأجنبية، حيث كان مركز الشرطة يتحرج في موقفه مع الأجانب، فمثلًا لو وجد أحد الأجانب يهرِّب المخدرات، فإنه يضُيِّق عليه الخناق، وفي بعض الحالات كان مهرب المخدرات يهدد المأمور بالقتل، ومن هنا كان المأمور يتحفظ في معاملته مع هؤلاء الأجانب، حتى لا تضيع حياته هدرًا، خاصة أنه يعلم أن الأجنبي له محكمة خاصة، حيث يمكن أن يذهب إلى بلده ليحاكم هناك..

فلماذا كان يفعل والحال هكذا؟ في مثل هذه الأحوال كان يأتي أحد المهربين إلى عرابي فيشكو له من فلان، فيضايقه حتى يضطره إلى مغادرة المكان.. فهذا خارج عن القانون، وهذا خارج

عن القانون مثله، فكان يضايقه حتى يترك المكان؛ وهـذا أقـصى مـا يريده المأمور؛ لأنه محكـوم بالقـانون وبالمـسؤولية، ويعـرف أنـه إن اعتدى عليه فستكون أزمة لمصر، أما عرابي فغير محكوم بأي شيء.

عـلى أيـة حـال، كـان رجـال الـشرطة يـستفيدون مـنهم في أنهـم يرشدونهم إلى المجرمين أحيانًا، وقد ظل عرابي ملـك الحـسينية حتـى أخطأ خطأ في سنة ١٩٣٠ كان السبب في القضاء عليه والقـضاء عـلى نظام الفتونة كله بعد ذلك.

وما حدث أن أحد أصدقاء عرابي ضايق فتاة من حي آخر فـضربه فتوة هذا الحي وهـو يعلـم أنـه مـن أصـدقاء عـرابي، فـذهب عـرابي بعصابته إلى هذا الحي في شبه حملة حربية عـلى الحـي الآخـر فـأغلقوا المحلات وحبسوا الناس في بيوتهم، ووقف عرابي يتحدى فتـوة هـذا الحي ويسبه، فخرج له فـأعماه تمامًـا، ولجـأ أهـل الحـي إلى الإنجليـز فاعتـدى عـرابي عـلى أحـد الـضباط الإنجليـز فخرجـت الداخليـة بالكامل وهاجموه وأغلقوا مقهـاه، وبـدأت بعـدها حملـة لاستئـصال الفتوات وأنشئوا مقرًّا للشرطة في الحسينية لأول مرة وبعـدها هـاجر الفتوات إلى منطقة المدبح وصاروا جزارين وسجن عـرابي ٢٠ عامًـا

ولما خرج كنا أصبحنا زبائن المقهى وكان تحت مراقبة دائمة فخلت الحسينية منهم بعد أن كان السير فيها مساء شيئًا خطرًا.

هل كانت المخدرات منتشرة مثل الآن؟

- المنتشر كان الحشيش، ولم يكن ممنوعًا وليس عليه غرامة أو عقوبة مثل الآن، لكن في فترة ما انتشر الكوكايين انتشارًا كبيرًا، فقد كان خلف بيتنا حقل، وكان المدمنون يتجمعون في هذا الحقل نائمين مثل القتلى، وفي هذا السياق أذكر أنهم كانوا ينظمون رحلات المدارس إلى المتحف الصحي الذي أنشأه فؤاد الأول؛ ليرى التلاميذ هياكل المدمنين، وأشكالهم الرهيبة، وكانوا يجعلون كل التلاميذ يرونهم ويشرحون لهم الأسباب التي أوصلتهم إلى هذا الشكل، ولذلك لم ينتشر الكوكايين بين التلاميذ وإنما انتشر بين فقراء الشعب وأبناء الأعيان. وكثر الحديث عن هذه القضية حتى إن العقاد وغيره من الكتاب الكبار اهتموا بها وكتبوا فيها، ونتيجة لذلك اهتمت الشرطة بهذا الأمر، وبعد شهور لم يعد في مصر أي مقدار من الكوكايين حتى هذه الأيام، فصار الكوكايين وكأنه صورة قديمة.

☜ ما السبب - إذن - إذا كنا قد نجحنا في استئصال الكوكايين قديمًا، فلماذا لا نستطيع أن نفعل هذا الآن مع هذه السموم العديدة المنتشرة بيننا؟

- كان هناك في هذه الأوقات حزم في المطاردة، فلم يكن هناك هوادة في هذا الأمر، لأن الجميع شعر بالخطر بعد أن رأوا الناس يتساقطون بين الحياة والموت فتحركوا وأغلقت مداخل القاهرة حتى تم استئصاله تمامًا وانتهت المسألة.

☜ نعود إلى الفتوة.. مَن من الممثلين جسَّد الفتوة كما كتبتها في الروايات؟

- لاحظ أنني لا أذهب إلى السينما منذ وقت طويل، فلا أذكر إلا الأعمال القديمة، فأنا أذكر فريد شوقي والمليجي فهما أفضل من جسد هذا الدور.. وأريد أن أوضح أولًا أن الفتوة بشكل عام كنت أستعمله كغطاء لمعانٍ أخرى، فالفتوة شخصية ثرية يمكن أن تمثل الحاكم أو الغازي المستبد، وهذا يظهر في رواية الحرافيش، حيث كان كل جيل من الفتوات يمثل دور الحاكم في هذا المكان.

في نهاية حوارنا أحب أن تخبرنا ما المقومات التي يملكها شباب مصر والوطن العربي الآن، والتي يستطيع أن ينميها ليتمكن من مواجهة تحديات العصر؟

- هو يملك في المقام الأول التاريخ، ويملك تراثًا عريقًا، ويملك الإيمان، ويملك أعدادًا لا يستهان بها من البشر، وأموالًا يمكنها أن تغرق بنوك العالم، وعند تنظيم كل هذه المقومات؛ بمعنى أن تعرف كيف تنفق هذه الأموال، وكيف تستوعب هذا التراث وتستخرج أجمل ما فيه، وتحول كل ذلك إلى حضارة تقوم على القيم الإنسانية والوطنية والقومية، وكيف تربي الطفل على حب المعرفة، وعلى حرية الفكر، وعلى الابتكار، ستجد أنك بنيت تاريخًا مجيدًا واعدًا مثلما فعل أجدادنا، ومثلما فعل العرب الذين خرجوا بين أمتين من أعتى الأمم في تاريخ العالم وهم الرومان والفرس.. وقد كان يقال قديمًا: إن الذي لا يتقدم يتخلف.. ولكن الآن الذي لا يتقدم يتلاشى..

الخاتمة

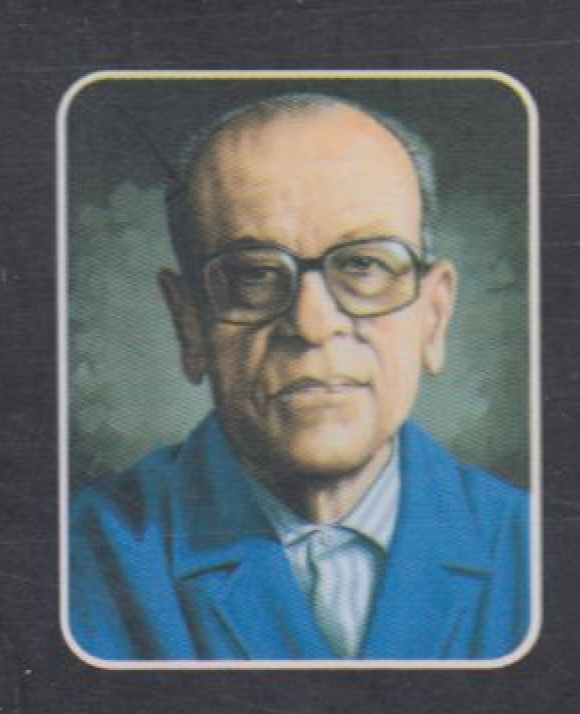
«القاهرة عاصمة التاريخ».. وكأن الشاعر اليمني الدكتور عبد العزيز المقالح أراد أن يلخص بهذه الكلمات كل ما يريد أن يقوله العابرون والمقيمون في هذه المدينة العريقة، وهذه كانت وجهة نظر نجيب محفوظ أيضًا، ولكنه أبى إلا أن يقول فيها كلمته، فارتدى لها عباءتها، وقرأها بدقة وكتبها بعمق.. انتهى إليها من أكثر من ناحية؛ فدرس لأجلها الفلسفة، ورسم خارطتها السياسية والاجتماعية بشمولية وحنكة.

وقد يكون الرجل موضع اختلاف كونه خرج عن المألوف، ورسم لنفسه طريقه الخاص ونظرته المستقلة، التي لا يشترك معه فيها أحد؛ لكنه كان يجيد المزج بين الحياة التي يعيشها والحياة التي يكتبها، ويرمي بنفسه في أتون التجربة، ويصهر نفسه في بوتقة الإبداع.

لقد صنع نجيب محفوظ من القاهرة - وعلى طريقته الخاصة - عاصمة للتاريخ.. بمآسيه وأفراحه، وديمومته التي لا تترك مجالًا لأحد ليصنع عاصمة على مزاجه الخاص.

الفهرس

الموضوع **الصفحة**



في هذا الحوار

- نجيب محفوظ.. فارس الكلمة.
- كيف يرى نجيب محفوظ هذا العصر؟
- نجيب محفوظ: يخيَل إلي أننا نعيش في عصر انتقال.
- هل نعاني أزمة فنية؟
- نجيب محفوظ: نعم.. هناك أزمة.
- ما مكانة الأدب المصري من الأدب العالمي؟
- نجيب محفوظ: نفسي غير مفتوحة للحديث في هذا الموضوع!
- ميزات الجيل الجديد.
- نجيب محفوظ: الجيل الحالي يتميز بمغامرات فكرية لم تكن موجودة على أيامنا.
- هل نعيش في عصر العلم أم في عصر الإيمان؟
- نجيب محفوظ: يجب أن يكون الإنسان متوازنا.
- ما دور المثقف في هذا العصر؟
- نجيب محفوظ: من واجب المثقف أن يتيح الثقافة للآخرين.
- ماذا يفعل الإنسان أمام التحديات التي تواجهه؟
- نجيب محفوظ: الإنسان لا يثبت جدارته إلا أمام التحديات.
- نجيب محفوظ: الإنسان المصري يملك تاريخا وتراثا وإيمانا.

في هذه السلسلة:

قضايا كثيرة، وعلامات مثيرة من الاستفهام والتعجب، ووثائق خطيرة وملفات تُفتح لأول مرة في هذه الحوارات الشائقة الجذابة التي يديرها الإعلامي الكبير عمر بطيشة مع أهم وأكبر الشخصيات التي عاصرت أخطر أحداث القرن العشرين وتقلباته، في مختلف المجالات؛ الثقافية، والسياسية، والأدبية، والدينية، والعسكرية، والاجتماعية، وغيرها.

وذلك إسهاماً [illegible] يال الجديدة بأه [illegible] سي، ولإيصال حلقة [illegible] ات التاريخ في م [illegible] لم الإسلامي.

دار الفاروق للاستثمارات الثقافية

9 789774 554148